الفنون الشعرية المستحدثة

١ـ فنون الشعر العربي في العصور المتأخرة سارت باتجاهين، احدهما محافظ على منهج القصيدة بناءً ولغةً وموسيقى، وثانيهما مستحدث النبتق من البيئة الجديدة التي أحدثت فيها اضافات متباينة، وثقافات متنوعة، وعادات مختلفة، وطبائع متميزة.

ومن ابرز هذه الفنون الشعرية المستحدثة: الدوبيت، والموشح، والزجل والمواليا، والكان وكان، والقوما والبند، ويعد ضياء الدين الحلي اول من اهتم بهذه الفنون، فعدا البند فيقول «انني كنت اضفت الى ديوان اشعاري ففي الموشح والدوبيت لتحليهما بالاعراب وشجعهما على منوال لفظ الاعراب، واعربته من الفنون الاربعة التي لحنها اعربها، وخطأ نحوها صوابها، وهي: الزجل، والمواليا، والكان وكان، والقوما. فهي الفنون التي اعرابها لحن وفصاحتها لكن، وقوة لفظها وهن، حلال الاعراب بربها حرام، وصحة اللفظ بها سقام ...»[1].

اما اهم الاسباب التي دفعت الشعراء الى النظم في هذه الفنون، هو وضعت المستوى اللغوي والثقافي في جزء كبير من المجتمع في العصور المتأخرة.

وان اهم ما يميز هذه الفنون المستحدثة، انها لا تلتزم بعمود الشعر العربي المعروف لاسيما ما يتعلق بالاوزان، واستخدام الالفاظ العامية، ومخالفة قياسها الصرفي او اللغوي خاصة الزجل والمواليا والكان وكان والقوما.

* الدوبيت *

قالب شعري ظهر في المشرق، وهو لفظ فارسي معناه البيتان، وقد سماه العرب «الرباعي» لانه مؤلف من اربعة مصاريع، وسمو الواحدة رباعية، يراعى في الاول والثاني والرابع منها على الاقل قافية واحدة ووزنها الدوبيت:

فعلن متفاعلن فعولن فعلن فعلن متفاعلن فعولن فعلن

ويطرأ على هذا الوزن زحافات كثيرة، ويتميز عن غيره بتحلية بقواعد الاعراب وموازين الصرف.

وان مخترعه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم الشاعر الفارسي السمرقندي الروذكي، وهذا ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد، وقد ذاعت شهرة بعض هؤلاء في نظم هذا اللون، امثال عمر الخيام (ت ٥٢٠ هـ) وأحمد الدين المعروف بالانوري (ت ٥٨٧ هـ)، وعبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨ هـ)، وقد اختلف في معرفة العرب للدوبيت، فقد ذكر مصطفى الرافعي: «ان هذا النوع - اي الدوبيت - لم يكن معروفاً في العربية قبل القرن السابع ولا وجدته في ذلك قوله «لاننا لم نجده في شعر احد قبل هذا الزمن، ولا وجدنا اشارة اليه، ولم نجد للشعراء والعامة الا في اواخر تلك المئة وما بعدها» وهذا الكلام يجانب الصواب، حيث احصى الدكتور مصطفى الشيبي نيفاً وعشرين شاعراً من القرنين الخامس والسادس نظموا في الدوبيت.

اما الدكتور ابراهيم انيس فيقول: «ان هذا الوزن لم يشع شيوعاً كافياً في اللغة العربية حتى يصبح مألوفاً بين الناس، بل لم يرد ان شاعراً مشهوراً اختصه به، ولهذا لم نرو له الا مقطوعات قصيرة قليلة، والغلب الظن ان الناظمين قد حاولوها للتفكه واظهار البراعة والمهارة في النظم» وهذا القول غير دقيق، لان من يتتبع الحاوي لديوان الدوبيت الذي جمعه الدكتور كامل مصطفى الشيبي يجد عدداً ضخماً للدوبيتات والشعراء معروفة امثال شهاب الدين السهروردي، وصمام الدين الحاجري، وابن نبيه المصري، وابن مطروح وصفي الدين الحلي وغيرهم ...

وكلام الدوبيت وعاء لعدد من الاغراض الشعرية، فاسم الصاحب الاصبهاني (ت ٥٩٧ هـ) نظم ديوانه شعر صغير مجموعة من الدوبيتات في معنى الجهاد فيقول

اقسمت سوى الجهاد مالي أرب * والراحة في سواه عنه نفب
الا بالجد لا ينال الطلب * والعيش بلا جد جهاد لعب

وكلام للغزل، ودواعي الغرام، ولوائح الصبابة والهيام، نصيب كبير من هذا اللون مثل قول * الشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ)

قاسيت بك الغرام والهجر سنين * ما بين بكاء وانين وحنين
أرضيك وما تزداد إلا غضباً * الله كما أبلى بك القلب - يقين.

واشتهر صفي الدين الحلي (٧٥٠ هـ) بنظم الدوبيت وله كتاب مطبوع بعنوان «العاطل الحالي والمرخص الغالي» اعتنى فيه بفنون الشعر المستحدثة.

وكان للمتصوفة المتأخرين حظ وافر من نظم الموشحات منها قول فضولي البغدادي (٩٦٣ هـ)

الحمد لمن أنار قلبي وهدى * والشكر طافيه من الشوق بدا
ما امدح واصبا سواه أبدا * لا أنثني في ثناء ربي أمدا

* الموشح *

لون من ألوان الكلام المنظوم، ظهر في الأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري، اخترعه محمد بن محمود القبري الضرير وضاهى به ابن بسام في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أما ابن خلدون في مقدمته ذكر أنه مخترعه مقدم بن معافر الفريري. وهو يختلف عن القصيدة، ضمن حيث القرن تتفق الموشحات المنظومة بالفصحى في نظمها مع أوزانه الخليل المعروفة، ولكنها قد تخرج في شذوذ عن هذه الأوزان، سيما اذا كانت منظومة بالعامية، لذلك تخالف الموشحات قصائد الشعر بخروجها على مبدأ القافية الواحدة واعتمادها جملة من القوافي المتناوبة والمتناظرة وفق نسق معين. واختواء بعض اجزائها، خاصة الخاتمة على العامية.

كانت الموشحات في الأندلس ثمرة حياة الغنى والرخاء تلك الحياة التي جنح اليها الناس فيها الى الترف واللهو والموسيقى والغناء والطرب، الى جانب روح التجديد التي سادت المجتمع الذي تظلله حرية القول والعمل والحركة والابداع.

* ولم يعرف المشرق الموشح الا في عهد متأخر، وذكر احمد الباجستين ان الموشح نقل الى المشرق في أخريات القرن السادس، وذهب آخر الى ان ابن سناء الملك اول من ادخل هذا الفن الى المشرق، وقد انتقلت هذه الموشحات الى المشرق بوساطة العلماء والادباء والفقهاء في نهاية القرن الخامس للهجرة، وبدأ النظم على غرارها فيما بداية القرن السادس للهجرة، ومن ابرز الشعراء الذين نظموا في الموشح: علي بن عياد الاسكندري (ت ٥٦٦ هـ)، وابن ملاقس الاسكندري (ت ٥٦٧ هـ) وهو موسى بن علي الاسكندري (ت ٥٧٢ هـ) وكان ابن سناء الملك أحد المعنيين به وكان له كتاب «دار الطراز في عمل الموشحات»

وتنقسم الموشحات بشكل عام من ناحية الأوزان إلى قسمين، منها ما جاء على أوزان أشعار العرب، ومنها ما لا وزن له وهو كما يقول ابن سناء الملك «الكثير ولحم الغفير، والبعد الذي لا يتحصر، والشارد الذي لا ينضبط، وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون دفتراً لحسابها وميزاناً لأوتادها وأسبابها، فعز ذلك وأعوز لخروجها عن الحصر.

وقد حاول المستشرق الألماني «صارمان» في دراسة له إرجاع أوزان الموشحات إلى ١٤٦ وزناً أو بحراً مشتقة من بحور الشعر العربي الستة عشر.

* أجزاء الموشحة:

* المطلع: إذا افتتح الموشح به سمي تاماً، وإن لم يستهل به سمي أقرع أي ليس في رأسه شعر.

* القفل: وهو يشبه المطلع في الوزن والقافية، والأقفال ليس لها عدد محدد، ولكن أغلب الموشحات لها خمس أقفال، والقفل الواحد يتركب من جزأين فأكثر إلى الثمانية أو عشرة، وقد أوصله ابن سناء الملك إلى أحد عشر.

* الغصن: وهو القسم الواحد من المطلع والقفل، وقد يكون جزأين، أو ثلاثة وقد يكون أربعة.

* الدور: ويأتي بعد المطلع إذا كان الموشح تاماً، أو مباشرة إذا كان الموشح أقرع والحد الأدنى له ثلاثة أقسام، وقد يكون أربعة أو خمسة ولا يتجاوز ذلك إلا نادراً.

* السمط: وهو القسم الواحد من الدور، ويكون مفرداً كما في موشحة الغزازي أو يكون من فقرتين أو ثلاث أو أربع.

* البيت: وهو الدور مع القفل الذي يليه.

مثال على ذلك موشحة أحمد عبد الملك الغزازي.

يا ليلة الوصل وكأس العقار دون استتار على حتمائي كيف خلع العذار
اغتنم اللذات قبل الذهاب وهز أذيال الصبا والشباب
واشرب، فقد طابت كؤوس الشراب على خدود تُنبت الجلنار ذات احمرار طرزها الحسن بآس العذار

ومن أبرز ما يلاحظ في الموشح الحضري التطور في الأغراض التي عالجها فإلى جانب الغزل والمجون والخمر والمديح والرثاء والهجاء وجدت موشحات في التصوف والمراسلة بين الأدباء ما يعرف بالإخوانيات، أما من الناحية الفنية فإن الموشحين اشتركوا في ضروب البيان والبديع لا سيما التورية وكان من أشهرهم استعمالاً للتورية ابن بيانة المصري.

* الزجل *

ولد الزجل في الأندلس في أواخر القرن الرابع للهجرة، ونشأ فيها وتطور على يد رجالة معروفين في القرن الخامس امثال أخطل بن نمارة حتى اذا جاء القرن السادس للهجرة بلغ الزجل عصره الذهبي على يد أبي بكر بن قزمان شيخ صناعته وامام فنه.

وقال صفي الدين الحلي في مكانة الزجل بالنسبة الى الفنون الاخرى «هو ارفعها رتبة، واشرفها نسبة، واكثرها أوزاناً، وارجحها ميزاناً، .... والزجل في اللغة «الصوت» يقول سحاب زجل اذا كان فيه الرعد، ويقال لصوت الاحجار والحديد والحماد أيضاً زجل»

وهذا الفن يبعد عن الاعراب، يغلب عليه التسكين، ويصلح للغناء، وينظم على بحور الشعر المعروفة الى جانب بحور اخرى ابتدعها الزجالة، والشائع فيه ان يكون البيت من أربعة أشطر أو مصاريع الثلاثة الاولى من روي معين والرابع من روي مغاير له، ولكنه ملتزم في كل شطر رابع في القصيدة، ويشيع الجناس عادة في القوافي الثلاث الاولى، وقد ينظم الزجل اقفالاً، ولا يزيد القفل الواحد عن بيتين احياناً وربما يكون للبيت رويان، احدهما للصدر والآخر للعجز، وقد تسوده قافية واحدة.

اما اهم من برع في نظمه في ديار المشرق ابن النبيه المصري، ومحمد بن عمر المعروف بابن المرحل وابراهيم الحائك المعمار، وفي الشام كثر عدد الزجالة ومن اشهرهم علي بن سقائل الحموي، وابن حجة الحموي.

وصل الزجل الى العراق واقبل عليه الشعراء ونظموا فيه قال صفي الدين الحلي «ولأهل بغداد دون المشارقة ازجال رقيقة بالفاظ لطيفة على اصطلاح [illegible] اصطلاح لغتهم»، واشتهر عدد من الشعراء العراقيين في نظم الزجل، ولم يتورع بعضهم من الاغراق في المجون والخلاعة ولنتمثل مثل تقي الدين علي بن محمد بن مري البغدادي وصفي الدين الحلي

الموالیا

اختلف الدارسون في نشأة الموالیا فقال: ابتدعه أهل وادي، وقال آخرون: اخترعه أشياع البرامكة وأتباعهم بعد نكبتهم، فقد حرم عليهم الرشيد رثاءهم باللغة الفصحى. فراحوا يرثونهم وينوحون عليهم بلغة غير معربة، أي بما يشبه العامية، ويبدون مقاطعهم بعبارة «يا موالیا» لذلك عرف هذا اللون باسم (الموالیا) وقيل انه سبب التسمية لموالاة قوافيه بعضها مع بعضها الآخر.

والموالیا وزن واحد، هو البحر البسيط، ويتكون من أربعة مقاطع متشابهة الأواخر ساكنة الروي، والذين ينظمون يسمون بالمحالة.

وقد أشار ابن خلكان إلى طبيعة هذا الفن بقوله «ألم بعض البغادده في موالیا على اصطلاحهم، فانهم ما يتقيدون بالاعراب فيه بل يأتون به كيفما اتفق وذكر الموالیا التالي

ظفرت ليله بليلي ظفرة الجنون
وقلت وافى لحظي طالع ميمون
تبسمت فأضاء اللؤلؤ المكنون
صار الدجى كالضحى فاستيقظ الواشون

وقد اشتهر الشعراء العراقيين بالموالیا امثال محمد الدين النشابي (ت ٦٥٧) لوصفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ)، وعز الدين الموصلي (ت ٧٨٩ هـ)، ومن المصريين عمر ابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) والحسن بن علي المعروف بابن ظافر، (ت ٧٦٢ هـ) والبدر البشتوني الذي توفي بعد القرن التاسع وصولقائل في مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

امدح لأمة محمد يظهر الدياجي
وهذا في المدح واخوتي الخمسة الخماسي
منهم ورب الخلق في سائر الاجناس
من اعظم خير امة أخرجت للناس

ومن ثم وصلت الينا نماذج من نظمهم في هذا الفن امثال علي بن حجاج الحموي (ت ٧٦٤ هـ) وصلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) وموفق الدين احمد بن محمد الطرابلسي المعروف بأبي ذر الحلبي (ت ٨٨٤ هـ)

والموالیا الشامي قریب الشبه بالموالیا المصري ، من حیث الألفاظ والمعاني واستخدام المحسنات البدیعیة ، ولعل خضوع القطرین للحکم الایوبي ثم المملوکي هو الذي دعا لهذا التشابه.

وانتقل الموالیا إلى أقطار عربیة اخرى ، منها السودان وسیناء عند البدو ، وشاع في الغرب ولدیهم نوع یسمى « العیطة » وهو اقرب ما یکون في ترکیبه إلى الموالیا القدیمة الرباعیة وتنتهي بعد ترداتها بکلمة « یا سیدي »

* الکان وکان *

ظهر هذا الفن في القرن الخامس للهجرة ، ونسب فضل اختراعه إلى البغدادیین ، وقد سموه بهذا الاسم ، لانهم یقولون في حکایاتهم الخرافیة « کان وکان » للدلالة على أنها روایات لا اصل لها ولا سند .

والکان وکان من الشعر الملحون ، ینظم بأربعة أقفال مختلفة ، ویکون القفل الاخیر منه ای الرابع - مردوفاً بحرف علة وتسمى الاقفال الاربعة بیتاً ، ویمکن للشاعر نظم عدة ابیات على قافیة القفل الرابع ما وزنه :

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فعلن

وتکثر في الکان وکان المواعظ والزهد والحکم والامثال ، قال شخص الدین الکوفي (ت ٦٧٥ هـ) مخاطباً الغافلین عن ذکر الله وعبادته .

إلى من غفل وتوانى الرکبُ فاتکَ مُجبتهْ
وفي الدُّهمى حدا بهم الحادي وحثّ السوقْ

وانتقل الکان وکان إلى مصر ، وسمي بالزکالش ، وأبرز الشعراء في القطر المصري نظم في الکان وکان : شرف الدین ابن أسعد (ت ٧٣٨ هـ) وابراهیم العمار (ت ٧٤٩ هـ) وله

تشکوت للحب دائي وضنّ أرضي من الهوى
وقلت یا نور عیني قد شفني التبریح

أما في الشام فلم یشع کثیراً ، وقد أورد ابن شاکر الکتبي مقاطع منه للشاعر علي بن الحسن بن منصور الجریري (٦٤٠ هـ) وهي في غایة الفحش والبذاءة .

القوما

فن شعري ظهر في بغداد، وشاع في أواخر الدولة العباسية، ويعزى اختراعه إلى أبي بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة (ت ٦٢٩هـ) وقيل اخترعه شخص آخر لا يعرف اسمه، وقد أشار حفني بدوي إلى ذلك فقال ((ومخترعوه ببغداد أيضاً في دولة الخلفاء من بني العباس - رضي الله عنهم - يرسم للسحور في شهر رمضان، واشتقاق اسمه من قول المغنين للتسحير في آخر كل بيت منه بعد غناء الرمل أو غناء الزجل (قوما للسحور) وينبهون به رب المنزل، ويذكرون فيه مدحه والدعاء له، وتقاضيه بالانعام ... .

وقيل إن أول من اخترعه منهم ابن نقطة بوسم السحور للخليفة الناصر - رحمه الله تعالى - والصحيح أنه مخترع من قبله، وكان الناصر يطرب له ويجعل لابن نقطة في كل سنة ما يفضل عنه من الإنعام، فلما توفي ابن نقطة، وكان له ولد صغير ماهر في نظم القوما والغناء والأزجال، والغناء بهما، وارد ان يعرّف الخليفة بموت والده ليُجريه على مفروضه، فتعذر ذلك عليه فصبر الى دخول شهر رمضان، ووقف في أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وهي الخارمة، وغنى بالقوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة إليه، وطرب له: فلما وصل الى القوما الذي كان اول ما قاله .

يا سيد السادات
لك بالكرم عادات
أنا ابني ابن نقطة
وأبي - تعيش انت - مات

والقوما ينظم بأربعة أقفال، ثلاثة منها بقافية واحدة وروي واحد هي الأول والثاني والرابع، والقفل الثالث الطولها وصوصل القافية، ومجموع الأقفال الاربعة يسمى بيتاً، اما وزن القوما فهو: مستفعلن فعلاتن (أو فاعلاتن)

البند

فن ادبي نشأ في العراق في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة، ثم شاع في منطقة الخليج العربي طيلة ثلاثة قرون.

ويكتب البند على هيئة الدشت، ووزنه «مفاعيلن» مكررة تباعاً حتى آخره وكقولها حسن، وهي اي التفعيلة هي المحور الاساس لا البشطر، ويجوز في أول التفعيلة الخرم والخزم، ويغلب في آخر جزء منه الحذف «مفاعي».

والبند له شبه بالشعر الحر من حيث اقامة الوزن على «التفعيلة» دون الاشطر، وقد اشتهر الكثيرون في نظم البند امثال: شهاب الدين بن معتوق الموسوي (ت ١٠٨٧هـ)، وعبد الغفار الاخرس (ت ١٢٩٠هـ) واحمد بن درويش علي البغدادي الحائري (١٣٠٩هـ). وقد درج العراقيون على انشاد البند على إحدى طريقتين، فاما ان يقرأ وزنها مجردين أو اخر كلماتها، ويغلب هذا في احوال التلاوة السريعة، واما أنهم يقفون اختياراً في مواضع القوافي حيثما يتفق الموقوف، فيكسبون البند ظرفاً ورشاقة وموسيقى وهذه الطريقة الشائعة في الانشاد.

قال عبد الغفار الاخرس يمدح السيد سلمان بن السيد علي القادري الكيلاني المتوفى سنة ١٢١٥هـ

«محب ذائب الدمع، رماه البين بالصدع، بكى من حرقة الوجد، على من حفظ العهد، وخشف ناعم الخد، مليح عبل الردف، هيف لين الوطف، أدار الكأس والطاس، وحاكى الورد والنرجس.

- الشعراء -

* شمس الدين الكوفي ٦٠٣-٦٧٥هـ *

شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الله الهاشمي الكوفي، ولد في بغداد سنة ٦٠٣هـ في أسرة كريمة، وتوجه منذ الصغر نحو الدرس والتحصيل للعلم حتى بلغ مرتبة التدريس، ووصفه ابن شاكر الكتبي بقوله: «كان أديباً فاضلاً عالماً شاكراً ظريفاً لبيباً دمث الأخلاق» مارس شمس الدين الكوفي مهنة التدريس في المدرسة المستنصرية، وتولى الخطابة في جامع السلطان، وخصص ساعات في الأسبوع للوعظ في باب بدر، وكانه مرجعاً على الإسلام والمسلمين.

رثى هذا الشاعر بغداد وندب أهلها وأبّن أحبابها في قصائد تفيض بالدمع والأسى، وقد سماه محمد رضا الشبيبي في كتابه عن ابن الفوطي «الشاعر مأساة بغداد»، ومما نظم شاعراً استطاع أن يصل الحان وصول إليه شمس الدين الكوفي في بكاء الدولة العباسية ونورد هنا قصيدة سلك فيها سلك المتيمين الذين أضناهم فراق الأحباء، وقرّح جفونها كثرة البكاء، مطلعها:

عنّفوني لأجل فراقكم آلام * فالام أعذل فيكم وألام
من كان ضلي للحبيب مفارقاً * لا تعذلوه فالكلام كلام

ويتسائل في قصيدة - هل عادة من وقف على الأطلال - عن الراحلين الذين خلفوه ينجرع لوعة الأسى، ومرارة الحرمان، وعذاب الوحدة، ويقسم بالبقاء على عهد الهوى والمحبة فيقول

وحياتكم انني على عهد الهوى * باق، ولم يخفق لديّ ذمام
فدمي حلال ان أردت سواكم * والعيش بعدكم عليّ حرام

وكان شمس الدين يعتز بأمته العربية، ويتمسك بها، ويخلص لها وقد اشار الى ذلك في شعره.

عرب يعزّ المحتمى بجناحهم * والعرب ما زالت تعز كذا كما

ومما يلاحظ على شعر شمس الدين الكوفي، ان غالب شعره الذي وصل الينا - ما خلا قصيدة بقصائد التي نظمها في رثاء بغداد - في الغزل الصوفي وذكر الديار الحجازية والتغني بها.

* ان شعره - على سهولة ألفاظه وبساطة تراكيبه - لا يخلو من الصنعة والتكلف، واستخدام صور البيان وزخارف البديع، ضمن الجناس قوله.

الى متى نحمل البلوى وعاذلنا * بغير ما هو يقيناً يعنّينا
ومن البطاقة قوله
فصار يرحمنا من كان يأملنا * وعاد يبعدنا من كان يدنينا

ومن الكناية قوله :

اسكنته ربع الغرام فماله * من ساكنيه لديستطيع حراكا

ومن الاستعارة في قصيدة نفسها يقول :

ضرب الغرام على النفوس سرادقاً * والحسن مدّ على العقول شباكا

كوفي شيعي ابن الكوفي سنة ٦٧٥ هـ بغداد عاصر احداث فترة مرّ بها العراق ، وقد عبر عنها في شعره أصدق تعبير ، ليمكن ان يعد وثيقة هامة الى جانب الوثائق التاريخية .

* صفي الدين الحلي ٦٧٧ - ٧٥٠ هـ *

ابو الفضل صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي الحائي ، ولد يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ في مدينة الحلة وقد ذكر صفي الدين الحلي مدينة الحلة في شعره فقال

من لم ترَ الحلة الفيحاء مقلته * فانه في انقضاء العمر مغبون

ونشأ في حجر أسرة عربية لها مكانتها المرموقة وفرلتها الرفيعة ، وتعلم القراءة والكتابة منذ الصغر ، ودرس علوم اللغة العربية وآدابها في شبابه ومارس الفروسية والصيد والالعاب المسلية كالنرد والشطرنج .

وعاش في الحلة نزاع شديد على الرئاسة والامارة ، لاسيما بين اخوال صفي الدين من بني محاسن ، وآل أبي الفضل ، وحينما قتل خاله عبد الله بن حمزة بن محاسن غيله وهو في مسجده رثاه بقصيدة فاره ، وحث قومه على أخذ الثأر ، وقد دارت معركة حامية بين الطرفين قرب بغداد سنة ٧٠١ هـ عرفت بمعركة الازواء الحراج)) شارك فيها صفي الدين وقد ابلى بلاء حسناً ونظم قصيدة أولها

تعالي الرماح العوالي عن معالينا * واستشهدي البيض : هل خاب الرجا فينا

لما سعينا فما قرت عزائمنا * عما نروم ، ولا خابت مساعينا

اما آثاره فمضى كثيرة وكانت في الادب واللغة منها

١ - العاطل الحالي والمرخص الغالي .
٢ - نتائج الاطماع في شرح الكافية البديعية .
٣ - اغلاطي : وهو معجم بالاغلاط اللغوية الشائعة .
٤ - الدر النفيس في أجناس التجنيس .
٥ - الخمرة الجلية : وهو في وصف الصيد بالبزاة .
٦ - ديوان صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء
٧ - رسائله .
٨ - ديوان شعر : يحتوي على اكثر من عشرة الاف بيت في اثني عشر باباً وفي كل باب فصلين او اكثر ، وجله لفصول الاتوت .

* شعره *

اشتهر صفي الدين الحلي بالشعر أكثر من اشتهاره بالنثر، مع انه متبرز في كليهما، وقد عده النقاد والباحثون أشعر شعراء عصره لما امتاز به شعره من فضائل وسمات على صعيدي المعاني والالفاظ.

* انه اغلب مدائحه في الملوك الارتقيين، وملوك حماة والناصر قلاوون ومجلد الدين بن الاثير، ولم يخرج فيها عن طابع الذين سبقوه من وصف الممدوح بالسخاء والشجاعة، وكثيرا ما بالغ في عده الصفات ومنها قصيدته التي مدح بها الملك الصالح بن الملك المنصور الارتقي ومطلعها.

ما صبابة الريح الا هزني الطرب * اذ كان للقلب في صرف الصبا أرب

ومنها

كالاسد ان غضبوا، والموت ان طلبوا * والسيف ان ندبوا والسيل ان وهبوا

* له عدة قصائد في المديح النبوي لم يأت فيها بجديد فهي مأخوذة من السيرة النبوية التي قرأها في كتب التاريخ والتفسير ونراه يكثر فيها الاستغفار وطلب العفو والصفح فمنها قوله

بكم يهتدي، يا نبي الهدى * وبي إلى حبكم ينتسب

وقد أمّ بحرك مستشفعاً * الى الله، مما إليه نُنسب

* خصص قصائد كثيرة في الغزل الى جانب الابيات التي جعلها بين يدي المديح، وهو يعفف في بعضها ويسف في بعضها الآخر ويصبح حليف نزوة وأسير شهوة، مقلداً الشعراء المجان والمتهتكين، ونورد له بيتين من غزله العفيف قوله

يا خفيف الحجون اخففت قلباً * كان قبل الهوى قوياً مليا

لا تحاربْ بنا ظريك فؤادي * ضعيفان يغلبان قويا

* وكان لصفي الدين ذوق جميل في الوصف، وأداة طيعة في التصوير البارع، فنراه يجيد في وصف الحدائق والمروج وصيالج الصيد ومجالس اللهو والشراب، وادوات الطرب والغناء، والحيوانات اللطيفة، وديباجته في الوصف مشرقة، والفاظه سهلة وصوره واضحة من ذلك قوله في مغنية

اشجتك بالتقريب في تغريدها * فظننت معبد كان بعض عبيدها

* نظم شعراً كثيراً يبين فيه علاقته مع معاصريه الذي اكتسبهم لعد خروجه من الحلة وسكن حماة ودمشق وتعرف على أنه سكن في الشام ومصر والحجاز حين تجواله فيها، وقد نشر هذا الشعر في ديوانه في الباب الرابع وسماه "في الإخوانيات وصدور الرسالات" فمنها قصيدة ارسلها الى الشيخ مهذب الدين محمود بن يحيى الحلي قوله.

يكليت لفقد الأربع الخضر حنكم * على الرحلة الفيحاء بالأربع الحمر

الى انه يقول

وأذكرني عهداً وما كنت ناسياً * ولكنه تجديد ذكر على ذكر

* شارك في فن النثر، فله نحو ثلاثين قصيدة، رثى بها الملوك والأمراء والأصدقاء، وقد بانت عليه الجزع والألم والأسى رثاء لوالده صفي الدين بن محاسن وجلال الدين عبدالله بن حمزة بن محاسن وله مرثية تفنن بها في عماد الدين اسماعيل وصي مسعداً يقول مرثيا اولها

كأنه الزمان بلقياكم يُمنينا * وحادث الدهر بالتفريق يثنينا
فعندما صدقت فيكم أمانينا * أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

* ولصفي الدين مقطوعات في الأدب والحكم، وفي الزهد والتقشف.

— اما ميزاته الشعرية —

* فانه يتراوح بين مجموعه صادرة عن فطرة وطبع سليم، واخرى غلب عليها التكلف والصنعة، ويبدو أنه تابع في المجموعة الثانية أولئك الذين قيدوا انفسهم بالصناعة وأرادوا التفوق عليهم فجنس وطابق واقتبس وضمن وقابل، وتعمد التشبيه والاستعارة وتلاعب بالحروف، فاهمل والعجم، وبنى أحيانا على لفظ واحد يردده في روي كل بيت مع اختلاف المعنى وابتدع الموشح المضمن مثل قوله.

وحق الهوى ما حلت يوماً عن الهوى * ولكن تجنى في المحبة قد هوى
وحاكمت أرجو وصاله من قتلي انتوى * واضنى فؤادي بالقطيعة والنوى

* اما شعره الذي سلم من الصنعة والتكلف فيتميز برقة الألفاظ وسهولتها ووضوح المعاني وصحتها من ذلك قوله

قد نشر الزنبق أعلامه * وقال: كل الزهر في خدمتي
لو لم أكن في الحسن سلطانه * ما رفعت دونهم رايتي

* فضولي البغدادي ٩٠٠ - ٩٦٣ هـ *

محمد بن سليمان ، المعروف بفضولي البغدادي . تلقب بـ (فضولي) جرياً على طريقة الشعراء الذين كانوا يتلقبون في شعرهم بلقب يسمى «مخلصاً» يذكرونه في آخر بيت من القصيدة إيذاناً بالانتهاء ، ويشتهر كل شاعر بمخلصه الذي اختاره لنفسه ، وقد ذكرت مرئي في مقدمة ديوانه الفارسي اسباب اختيار هذا اللقب منها ، انه اراد ان ينفرد بلقب لا يشاركه فيه شاعر آخر ، ويصون شعره من أن ينسب إلى غيره .

* ولد فضولي في مدينة كلة في حدود سنة ٩٠٠ هـ من اصل تركي ومثل كردي وكان ابوه مفتياً في هذه المدينة ، وذهب احد الباحثين على انه من كركوك .

* كان هذا الشاعر يحب بغداد يزورها بين حين وآخر مما جعله ينتسب اليها ، احازوا له فكان من ابنة شيخ يسمى «رحمة الله» وكانت غاية في الجمال والحسن والخيتا له ولده فضولي .

* اتقن هذا الشاعر ثلاث لغات (العربية والتركية والفارسية) ، ووقف كل العلوم المكتوبة بهذه اللغات واجاد النظم فيها ، فقال في مقدمة ديوانه الفارسي «إنارة قريحة الشعر بالعربية فأطربني فصحاء العرب أجمعين وكان ذلك سهلاً عليّ ، لان العربية لغتي من العلم والدرس ، وتارة اخرى أجريت طرفي الطبع في ميدان التركية وامتعت خطباء الترك وألباءهم بلطائف الشعر التركي ، وماوصيت ، وماجدت في ذلك عناءً ولا تضاغنة ، لانه كان صنو انطلاقاً على سجيتي واستجابة لسليقتي ، وطوعاً لملكة الجوهر من بسيط العبارة الفارسية ، فجئت من ذلك بثمرات حرى للقلب وعبات ..»

* وكان ذكياً كيساً ، قال فيه احد الباحثين «فضولي شاعر عظيم ، انتهت إليه إمارة الشعر وياسة الكلام في القرن العاشر وقد فخر به الترك واطبقوا على تبجيله ...»

* الف هذا الشاعر كتباً كثيرة عرف منها الى الآن ثمانية عشر مؤلفاً ، وهو صاحب ديوان عربي ، وديوان تركي ، وديوان فارسي .

اعتزل فضولي الحياة ومال إلى الزهادة ، وآثر الانقطاع إلى العبادة في بيت بسيط جوار قبر الحسين - عليه السلام - الى ان ادركته المنية بعد اصابته بداء الطاعون سنة ٩٦٣ هـ ودفن بكربلاء .

* ان اهم ملامح حياة مضولي وصفاته التي عرف بها أنه كان متصوفاً، محب الجمال ويرى فيه قدرة الله، ومن صفاته يتغزل بالوجوه الصباح وقدود الملاح فقال «ما أبدع ذلك التكوين الكامل الذي تجلى في تناسق أعضاء حسان، لهن طلعة الحور، وفي ملاحة نشفاه كالخمر وكلام كالدر المنثور ....»

* ان رقعة الحب الصوفي واسعة في أدب مضولي فلنسمع إليه ما يقول « قد أثار العشق للعشاق مناهج الهوى، وسلك طريقه الحقيقة بالعشق الهدى، والعشق هو تلك النشوة الكاملة التي تستمد الخمر دوماً وقدها ....»

* لقد تشبه بالصوفية، وهذا هذوهم، وردد مصطلحاتهم، ومثال ذلك كثرة ذكره للخال، فهو عند الصوفية إشارة الى نقطة الوحدة، وهي بدء ومنتهى الكثرة، منه بدأ وإليه يرجع لأسوكله قال في قصيدته العينية

لدائرة الأرواح خالك مركز * لجمعية الألباب وجهك مجمع

* اودع مضولي خفقات قلبه في شعره الصوفي، وجعل منه صورة لنفسه الحزينة، ونراه يكثر فيه من الدعاء والتضرع مثل قوله:

يا سمك اللهم يا فتاح أبواب الهنى * يا غني الذات، يا من فيه برهان الغنى
قد جنى قلبي من الدنيا ذنوباً ثم تاب * قد أتى مستغفراً فاغفر له ما قد جنى.

وفي شعره في الحب الإلهي قوله

شربت رحيقاً من اناء محبته * لاعدت أدري ما الاناء وما أنا

وفي النثر العربي لم نجد لمضولي البغدادي غير كتاب واحد بعنوان (مطلع الاعتقاد) وهو زاخر بأهم مظاهر الحياة الروحية والقدية عند المسلمين.

* النثر وأنواعه *

* ١- اتجه النثر في العصور المتأخرة اتجاهين رئيسيين، الأول - وهو الكثير - سلك طريق الصنعة والتكلف، وكتّابه يقتدون بالطريقة الفاضلية التي جرت على غرار طريقة ابن العميد وأربت عليها في الاغراق في الجناس والطباق والتورية ومراعاة النظير، والولوع بالسجع وغريب اللغة، والتضمين والاقتباس، والاكثار من الاستعارات والكنايات، والاطناب في الشرح والتوضيح. والثاني - وهو القليل - يسلك طريق الطبع والسليقة والبساطة، وكتّابه يتوخون وضوح العبارة والبعد عن الالتواء في الاسلوب، والمواءمة بين الفكرة والصورة اللفظية.

* ٢- كمية النثر في هذا العصر كبيرة، فمنها ما هو ديني نجده في كتب الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام، وما هو لغوي نراه في مصنفات النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وغيرها، ومنها ما هو نقلي كالكتب التراجم والطبقات والتاريخ بوجه عام، ومنها ما هو عقلي كالذي نجده في كتب المنطق والمقولات وغير ذلك من الابحاث الفلسفية، ومنها ما هو اداري وسياسي كتلك الرسائل الديوانية التي كانت تصدر عن الخلفاء الى السلاطين او عن السلاطين الى النواب والعمال والقضاة والوزراء وأرباب الدولة، ومنها ما هو اجتماعي كتلك الرسائل الاخوانية التي كانت تقال إما في الشكر او المدائحة أو ما يكتبه الاخوان بعضهم الى بعض.

وقد ألفت كتب كثيرة في فن النثر وأنواعه، مثل «حسن التوسل الى صناعة الترسل» تأليف شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧١٩ هـ) و «مسالك الابصار في ممالك الأمصار» تأليف ابو العباس احمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩ هـ) و «صبح الأعشى» لشهاب الدين احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) و «ريحانة الألباء» لشهاب الدين الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩ هـ) وغيرها من المؤلفات الأخرى.

- الخطابة -

هبطت مكانة الخطابة وتقوضت أركانها ومقوماتها بعد ان تمزقت الدولة العباسية وتناثرت أشلاؤها، وتناوبت فئات مختلفة على حكمها، وفشت العجمة، وهذا أدى إلى قلة الخطباء، فكان بعضهم يستظهر خطب السابقين ويرددها على المسامع، خاصة خطب عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة (٣٩٤ هـ).

* وهذا لا يعني ان الساحة خلت من الخطباء المجيدين الذين يمتلكون المقدرة على الاقناع والتأثير في النفوس بلغة رصينة بعيدة عن الخطأ واللحن، ولكن هؤلاء الخطباء كانوا قلة قليلة لم تستطع ان تغطي الرقعة الاسلامية وتسمع صوتها الى الناس جميعاً

* أما المناسبات التي كانت تلقى فيها الخطب كثيرة، منها الاستنفار لصد غارة، أو رد اعتداء، أو نجدة أخوان واصدقاء، ومنها ما كانت تلقى على المنابر ايام الجمع والاعياد والمناسبات الدينية الاخرى.

* وكانت الخطبة تلقى على ضربين: الاول كونها تلقى مشافهة بعد ان يقف الخطيب على منبر أو منصة أو فوق مرتفع من الارض، وهو غالباً كلامه بالحركات والسكنات والاشارات والايماءات التي جرى على اصطناعها بقصد التأثير على مشاعر الجماهير.
اما الثاني فهو ان تكتب الخطبة كتابة، وذلك كما لخطب التي دأب رجال الدين على ذكرها بين يدي المؤلفات والمصنفات الاصولية والفقهية والتفسيرية وغير ذلك مما كانوا يصنعونه في مختلف العلوم الشرعية.

* اما الطابع العام للخطب آنذاك كانت متشابهة تقريباً في التزام السجع، واستخدام فنون البديع كالجناس والطباق والمقابلة والترصيع والتضمين والاقتباس، كما امتازت باختيار الالفاظ والعبارات، والوحدة الموثيقة التي تربط أجزاءها ومعانيها في موضوع واحد.
واليك انموذجاً من خطبة النيل لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)

" الحمد لله العظيم القادر الحسيب الجليل، الذي أسبغ على عباده فضله وكريم الجزيل، الحكيم ومنه حكمته أجراؤها النيل، أنزله من الجنة بقدرته، وارسله لنفع العباد كما أراد فليس له شبيه ولا مثيل، أحمده حمداً يبري السقام ويشفي العليل، واشهد ان لا اله الا الله الملك الحق الوكيل ..... "

* الكتابة الديوانية *

بلغت الكتابة الديوانية في هذا العصر منزلة رفيعة، وارتفعت مكانة الكتاب لدى السلاطين والملوك والأمراء إلى مرتبة عالية لا تقل شأناً عن مرتبة القضاة وأرباب السيوف.

* وموضوعات الكتابة الديوانية كثيرة، منها العهود والتقاليد والمراسيم والمنشورات، وكذلك كتب الوعيد والإنذار بالحروب، إلى جانب رسائل الصداقة والسلام وتبادل الود والتحيات والهدايا والتهاني.

* ومن الأمور التي تتطلبها الكتابة الديوانية، الثقافة الواسعة، والمعرفة الجيدة بدقائق اللغة وفنون البلاغة والبديع، وإجادة الخط وقواعد الإملاء.

* وقد ألفت كتب خاصة لهذه الصنعة لتوضع بين أيدي الكتاب يرجعون إليها عند الحاجة، وأغلب الكتب الديوانية تتجنح إلى التأنق والتصنع، واستخدام السجع بكثرة، وكذلك سائر الفنون البديعية والمحسنات اللفظية، والاستعانة بمصطلحات العلوم المختلفة كالفقه والتفسير واللغة والنحو.
وعندما سلاطين مصر والشام بالكتابة الديوانية، واستخدموا إلى جانب صاحب ديوان الإنشاء منصب «كاتب السر» أو رئيس الديوان السلطاني.

* وللرسائل الديوانية أهمية تاريخية، فهي تسجل لنا بدقة ووضوح الحالة النفسية والسياسية والاجتماعية والحربية والأخلاقية التي كان الناس آنذاك ينفعلون فيها ويعيشون في أكنافها.

* الرسائل الإخوانية *

يصور هذا اللون من النثر العلاقات الاجتماعية بين الكتاب وأساتذتهم أو بينهم وبين أصدقائهم وأحبابهم، والقارئ يرى فيه التهنئة والتعزية، والشكر وطلب الزيادة، وما شابه ذلك من المعاني الاجتماعية التي تربط الناس ببعضهم، وتمتزج أحياناً بالعتاب والاعتذار، إذ أن الكاتب يحاول أن يظهر شعوره، ويعرب عما في قلبه من حب ومودة، ويزيل ما علق في نفس صديقه من ريب، وما حدث من جفاء وقطيعة.

* وشاعت في هذا العصر المناظرات الأدبية الجميلة بين الزهور والحيوان والطير وافتتن الأدباء بها أيما افتتان حتى صارت شارة بارزة لأدب هذه الحقبة، وقد اتخذت وسيلة للترفية عن النفس والهروب من الآلام ونسيان المشكلات التي تحيط بالناس وتحدق بهم.

* ومن مميزات الرسائل الإخوانية هي: البساطة واستخدام عبارات المجاملة ونعوت التعظيم والتبجيل، ويراعى فيها التناسب بين الموضوع والألفاظ ولابن الوردي رسالة أرشد فيها الناس ووعظهم وذلك من خلال وقفة في رسالة وصف فيها الديك سماها «منطق الطير» يقول فيها

«فصاح الديك: ها أنا أُناديك، أنا قد أذنت، فاقم الصلاة أنت.
هذا أوان صف الأقدام، ووضع الجباه، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله؛ كم أوقظك، وبانقضاء الأوقات أعظك، فأشفق عليك بصياحي وأرفق عليك بجناحي ...»

* * - - - - - * - - - - * *

* واجتمع في العصر المتأخرة المفاخرات أو المناظرات مثل المفاخرة بين السيف والرمح للسعدي (ت ٧١٧ هـ) والمفاخرة بين السيف والقلم لابن الوردي (٧٤٩ هـ) والمناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة المصري (ت ٧٦٨ هـ) وإليك طرفاً من مناظرة السيف والقلم لابن الوردي:

«قال القلم: صه، فصاحب السيف بلا سعادة كالأعزل.
قال السيف: مه، فقلم البليغ بغير حظ مغزل
قال القلم: أنا أزكى وأظهر.
قال السيف: أنا أبهى وأبهر...»

* وشاعت أيضاً في العصور المتأخرة الأقاصيص الشعبية، وسير الفرسان والشجعان مثل سيرة عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن وقصة الظاهر بيبرس.

* وظهر لون عرف بـ«طيف الخيال» فيه ملح ونوادر واشعار، وهو قريب من المسرحية وقد اشتهر من كتب فيها بهاء الدين علي الإربلي (٦٩٧ هـ) وشمس الدين بن دنيال الموصلي (٧١٠ هـ)

* أما النثر الذي كتب به الأدب واللغة والتاريخ والسير والرحلات والجغرافية والعلوم العقلية فكثير، وقد وصلت إلينا مؤلفات ومجاميع ضخمة في هذه العلوم نشر بعضها وينتظر بعضها الآخر الخروج من ظلمات الخزائن

* الكتّاب *

- ابن نباتة المصري ٦٨٦-٧٦٨ هـ -

* محمد بن محمد بن محمد بن شرف الدين محمد الملقب بجمال الدين .
* ولد في القاهرة سنة ٦٨٦ هـ في أسرة عريقة عرفت بالعلم والأدب ، يتصل نسبه بعبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٧ هـ) الخطيب المصري ، وقد فخر بنسبه فقال :

ورثت اللفظ عن سلفٍ وأكرم * بآل نُباتة الغر السراة
فلا عجبٌ للفظي حين يحلو * فهذا القطر من ذاك النبات

* تفرغ منذ الصغر لدراسة العلوم والآداب واستكمل ثقافته في وقت مبكر ، وأخذ عن كبار العلماء والأدباء في عصره ، وبعد ان ذاعت شهرته سافر الى الشام سنة ٧٢٧ هـ واستقر فيها ، واصبح صفياً للملك المؤيد وخليلاً ، وتفتحت أكمام شاعريته في ظله وعندما توفي الملك المؤيد انقضت حياة ابن نباتة وراح ابن نُباتة يسعى في الارض ليجد مكاناً أميناً لحياته ، وأخيراً استقر في دمشق ، وبعد نصف قرن من الزمن في أرض الشام عاوده الحنين الى مصر مستطرباً رأسه وملعب صباه ، وتوفي أخر ايامه اصابه الهزال والمرض ، وأخذ ينظم شعراً حزيناً مثل قوله في ابيات يذكر اولاده الذين دفنهم في حياته وكان عددهم ستة عشر ولداً .

تأخرت عنكم يا بنيَّ ، ويا أبي * وما أنا إلا البعض ماض جميعهُ
وعود نباتي متى يرتجى بقا * وقد مات منه أصله وفروعه

وقد انتشت حياته وانطفأت شمعته في القاهرة يوم الثلاثاء السابع من شهر صفر سنة ٧٦٨ هـ بمنزله بزقاق القناديل

آثاره

* ديوان شعره * القطر النباتي * منتخب الهدية في المدائح المؤيدية * سوق الرقيق * مختار ديوان ابن الرومي * مطلع الفوائد وجمع القرائد * سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون * المفاخرة بين السيف والقلم * خبز الشعير * ديوان خطب جمعية ... تكتفي بهذا القدر من المؤلفات والمنتخبات التي ابدع بها هذا الشاعر .

* نثره *

برز ابن نباتة في ميدان النثر والشعر وأثنى عليه الباحثون وأشادوا بقدرته العالية في التأليف فقال أحدهم «وله الشعر الرائق، والنثر الفائق، وهو أحد من حذو القاضي الفاضل، وسلك طريقته، وأجاد فيما سلك، وكان خطه في غاية الحسن»

* أعجب ابن نباتة بالقاضي الفاضل واتخذه مثلاً أعلى له، وقد اختار - كما ذكرنا - مختارات من نثره في مجلد سماه «الفاضل من انشاء القاضل».

* وكان القاضي الفاضل يميل الى تشخيص المعاني، ويتوفر على ألوان البديع لا سيما الجناس والتورية وتضمين الشعر والاقتباس من آي الذكر الحكيم، ولا يكثر من العطف والترادف، والجنوح الى الاطناب، الا ان ابن نباتة لم يلتزم بهذه الطريقة كل الالتزام، فقد تخفف منها في كثير من الاحيان ومال الى الاسلوب المطلق، مثال ذلك ما نراه في كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وكذلك رسالته (المفاضرة بين السيف والقلم) ونورد جزءاً منها ونقف على اسلوبه المسجوع الذي جانب فيه التعقيد المقيت، فقال على لسان القلم يرد على السيف «تفاخرني وأنا للوصل وانت للقطع، وأنا للعطاء وانت للمنع، وأنا للصلح وأنت للضراب؛ وأنا للعمارة وأنت للخراب ...»

* يوسف البديعي *

يكتنف الغموض حياة يوسف البديعي ، فلا يُعرف اسم أبيه ، ولا أسرة التي درج في احضانها ، ولا أساتذه الذين أخذ عنهم . . .

ولد هذا الكاتب في دمشق ، وهي احدى المدن المشهورة بمدارسها ومنتدياتها العلمية والأدبية ، وتعلم في اكنافها وأخذ من علمائها حتى نشأ اديباً شاعراً بيشار إليه بالبنان .

قاله المحبي عنه : « الأديب الذي زين المطروس بوشحات اقلامه ، فلو أدركه البديع لاعتزل صناعة الإنشاء ، وتعرض عند استماع نثره ونظامه » .

ارتحل الى حلب بعد أن وجد في نفسه القابلية على مجابهة الحياة ، وأقام علاقات طيبة مع شخصياتها البارزة ، ومدحهم بشعر كثير ، لاسيما القاضي عبد الرحيم بن الحسام .

- آثاره : -

* أوجع التحري عن حيثية أبي العلاء المعري * هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام * الحدائق البديعية * هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي عليه السلام * الصبح المنبي عن حيثية المتنبي *

* نثره *

* نثره سهل بسيط ، وبعيد عن الالتواء والتعقيد ، وغالب كتاباته شبيهة بما جاء في الكتب التعليمية ، وخاصة الكتب التي تحدث فيها عن سيرة أبي تمام وابي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري مثلاً يقول عن ابي تمام « ولابي تمام طريقة في ذم الشيب ، والتألم به ، والجزع منه كقوله في قصيدته التي مدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الغزواني وأولها

وأما إنه لولا الخليط المودع * وربع عفا منه وصيف ومربع

وكتب البديعي زاخرة بأخبار ممتعة عن الشعراء والكتاب ، من ذلك الخبر الذي يحكي عن ابي الطيب المتنبي لا قبل ان رجلاً من مدينة السلام كان يكره المتنبي ، نأى على نفسه ألا يسكن مدينة يُذكر بها أبو الطيب وينشد كلامه ، فهاجر من مدينة السلام ، وكان كلما وصل بلداً يسمع بها ذكره يرحل عنها ، حتى وصل الى اقصى بلاد الترك ، فسأل أهلها عن ابي الطيب فلم يعرفوه ، فتوطنها ، فلما كان يوم الجمعة ذهب الى صلاتها بالجامع ، فسمع الخطيب ينشد بعدها ذكر اسماء الله الحسنى :

أسامياً لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

فعاد الى دار السلام !!